TU
جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY

خصائص أزواج النبي ﷺ من القرآن

دراسة عقدية

أ. د. أيمن بن محمد الحمدان

أستاذ العقيدة المشارك بكلية الملك عبد العزيز الحربية، وزارة الدفاع.

قسم العلوم الإسلامية

TU

جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY



ملخص الدراسة

دراسة ما اختصّ اللّه تعالى به أزواج رسوله محمد ﷺ من خصائص ليست لغيرهن من نساء العالمين، وبحث ما جاء في القرآن من هذا المعنى، ودراستها دراسة عقدية، من جهة كون ذلك متعلقا بالنبي ﷺ من جهة الرسالة؛ إذ اختار اللّه تعالى لخاتم أنبيائه ورسله أزواجا خصهن بخصائص ميزهن عن غيرهن، ومن جهة كون أزواج النبي ﷺ صحابيات من خيار الصحابة.

وينحصر البحث بجمع ودراسة الآيات من القرآن فيما يتعلق بخصائص أزواج النبي ﷺ، وترتيبها حسب موضوعاتها وإبرازها.

وجاءت دراسة تلك الخصائص في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، والمباحث الثلاثة، هي:

المبحث الأول: الخصائص العامة لهن.

المبحث الثاني: خصائصهن مع النبي ﷺ .

المبحث الثالث: خصائصهن مع الأمة.

أهداف البحث:

١- إبراز خصائص أزواج النبي ﷺ وبيانها.

٢- حفظ مكانة أزواج النبي ﷺ وبيان منزلتهن من اللّه تعالى؛ إذ خصهن بما ليس لغيرهن.

٣- حفظ البيت والفراش النبوي من عادية المغرضين من الطوائف الباطنية ببيان خصائص أزواج النبي ﷺ.

In the name of of Allah the Merciful

Research title: Characteristics of the Prophet's wives efrom the Qur'an, a doctrinal study.

Study summary: a study of the characteristics that God Almighty bestowed upon the wives of His Messenger Muhammad , which eare not unique to other women of the worlds, and a study of what was mentioned in the Qur'an in this sense, and its study is a doctrinal study, on the one hand, as it is related to the Prophet efrom the point of view of the message ; For God Almighty chose for the Seal of His Prophets and Messengers wives that He singled out with characteristics that distinguished them from others , and in terms of the Prophet e's wives being companions of the best companions.

The research is limited to collecting and studying verses from the Qur'an regarding the characteristics of the Prophet's wives e, arranging them according to their topics and highlighting them.

The study of these characteristics came in an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion, and the three chapters are:

The first topic: the general characteristics of them.

The second topic: their characteristics with the Prophet e.

The third topic: their characteristics with the nation.

research aims:

Highlight the characteristics of the wives of the Prophete and its statement.

Preserving the status of the wives of the Prophet eand clarifying their status with God Almighty; As he singled out what is not for others.

Preserving the house and the Prophet's bed from the ordinary, prejudiced esoteric sects by explaining the characteristics of the wives of the Prophet e

مقدمـــة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾]آل عمران آية ١٠٢[، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾]سورة النساء آية ١[، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾]سورة الأحزاب آية ٧٠[(١).

أما بعد:

فقد لفت انتباهي أثناء قراءة تفسير سورة الأحزاب آيات كريمات ذكر الله تعالى فيهن ما اختصّ به أزواج رسوله محمد ﷺ من خصائص ليست لغيرهن من نساء العالمين، فدعاني ذلك إلى بحث ما جاء في القرآن من هذا المعنى، ومنه ما جاء في سورة النور من ذكر براءة الله تعالى للصديقة بنت الصديق عائشة ﵂ مما رماها به أهل الأفك.

فوجدت من ذلك فرصة سانحة لجمع الآيات بهذا المعنى ودراستها دراسة

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة، أخرجها أبو داوود في سننه كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم الحديث (٢١١٨) ٣١٩/٢، والترمذي في جامعه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم الحديث (١١٠٥) ٤٠٤/٢، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، رقم الحديث (٣٢٧٩) ١٠٤/٣، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم الحديث (١٨٩٢) ٨٨/٣.

عقدية، من جهة كون ذلك متعلقا بالنبي ﷺ من جهة الرسالة؛ إذ اختار الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله أزواجا خصهن بخصائص ميزهن عن غيرهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾]الأحزاب:٣٤[، فكما أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فكذلك هو ﷻ أعلم حيث يجعل أزواج نبيه ﷺ، وحسْب أزواج النبي ﷺ شرفا وفضلا أن الله تعالى اختارهن فراشا لأكرم رسله وخاتم أنبيائه ﷺ.

وكذلك من جهة كون أزواج النبي ﷺ صحابيات من خيار الصحابة.

ولقد تميزت سورة الأحزاب بالخصوص بذكر خصائص أزواج النبي ﷺ ذكرا لم يكن له نظير في القرآن؛ إذ كانت تلك السورة في جملة من مقاصدها تُعنى ببيان أحوال النبي ﷺ في خاصة نفسه، ومن ذلك علاقته ﷺ بأزواجه، وعلاقتهن به ﷺ، وعلاقة الأمة بهن رضوان الله عليهن.

وقد رأيت من المناسب جمع الآيات من القرآن في هذا المعنى وترتيبها حسب موضوعاتها، ترتيبا يتضح به خصائص أزواج النبي ﷺ التي قررها الله تعالى في كتابه العظيم، فكان وحيا يتلى في محاريب المسلمين.

الدارسات السابقة:

عموم الدراسات التي تتعلق بأزواج النبي ﷺ جاءت في ذكر فضائلهن ومناقبهن وسِيَرِهن، ولم أظفر بدراسة تُعنى بموضوع دراسة خصائصهن التي ذكرها الله تعالى في القرآن، ومن المعلوم أنه ثمّتَ فرق بين الخصائص، وبين الفضائل والمناقب، إذ الخصائص تقتضي الانفراد والتميّز عن المشاركة فيها، بينما الفضائل والمناقب قد يقع فيها الاشتراك.

فكيف بالخصائص التي نوّه الله تعالى بشأنها في القرآن لأزواج النبي ﷺ التي جعل الله تعالى عنوانها: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾]الأحزاب:٣٢[، من جهة أن الله تعالى هو الذي ميّزهن وخصّهن بتلك الخصائص، ومن جهة كون ذلك وحيا يتلوه المسلمون أجيالا إثر أجيال، وعلى نفاسة هذا العنوان لم أجد من درسه

وبحثه ورتبه على النحو الذي قصدته من خطة هذا البحث، وإنما ذكر بعضه متفرقا في كتب شتى ما بين فقهية وحديثية وتفسيرية وغيرها.

وأما ما يتعلق بفضائل أزواج النبي ﷺ ومناقبهن وسيرهن، فالكتب والدراسات في ذلك أكثر من أن تحصر هنا، غير أن هذا ليس من مجال بحثي.

من ذلك كتاب: النبي ﷺ وأزواجه من سورة الأحزاب لمؤلفه: عبد الحميد محمود طهماز، ذكر من ص١٠٣ إلى ص١٢٨: تكريم الله تعالى لأزواج النبي ﷺ، ذكر في ذلك تفسيرا لبعض الآيات، ولم يتعرّض لما يتعلق بالخصائص.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وقد جمع مادّة هذا البحث من مظانها على منهج البحث العلمي المعتبر، وعزا الآيات في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية، والتزم كتابتها بالرسم العثماني، وخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وبيان حكمها إذا كانت في غير الصحيحين، وعزا الأقوال لأصحابها، من كتبهم، أو عمن نقل عنهم.

وترجمة الأعلام غير المشهورين، وكذلك الفرق والأماكن، وبيان الكلمات والمصطلحات الغريبة.

أهداف البحث:

١- إبراز خصائص أزواج النبي ﷺ وبيانها.

٢- حفظ مكانة أزواج النبي ﷺ وبيان منزلتهن من الله تعالى؛ إذ خصهن بما ليس لغيرهن.

٣- حفظ البيت والفراش النبوي من عادية المغرضين من الطوائف الباطنية ببيان خصائص أزواج النبي ﷺ.

حدود البحث:

ينحصر البحث بجمع ودراسة الآيات من القرآن فيما يتعلق بخصائص أزواج النبي ﷺ، وترتيبها حسب موضوعاتها وإبرازها.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: خصائص أزواج النبي ﷺ العامة.

المبحث الثاني: خصائص أزواج النبي ﷺ مع النبي ﷺ.

المبحث الثالث: خصائص أزواج النبي ﷺ مع الأمة.

وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

تمهيد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف الخصائص.

المسألة الثانية: أزواج النبي ﷺ، وعددهن.

المبحث الأول: خصائص أزواج النبي ﷺ العامة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اختصاصهن بالنبي ﷺ.

المطلب الثاني: إذهاب الله تعالى الرجس عنهن وتطهيرهن.

المطلب الثالث: مضاعفة العذاب والثواب.

المطلب الرابع: ذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة.

المبحث الثاني: خصائص أزواج النبي ﷺ مع النبي ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تخييرهن في البقاء على عصمة النبي ﷺ.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالعدل بينهن في القسم.

المطلب الثالث: تزويج الله تعالى لبعضهن للنبي ﷺ.

المطلب الرابع: تحريم النساء على النبي ﷺ سواهن.

المبحث الثالث: خصائص أزواج النبي ﷺ مع الأمة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حرمة بيوت النبي ﷺ.

المطلب الثاني: حكم الكلام مع أزواج النبي ﷺ وسؤالهن.

المطلب الثالث: أمومتهن للمؤمنين وحرمتهن عليهم.

المطلب الرابع: القرار في البيوت.

المطلب الخامس: تبرئة الله تعالى لعائشة ﵂ في قضية أهل الإفك.

خاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف الخصائص.

الخصائص جمع خصّيصة، وأصلها كما قال ابن فارس: «الخاء والصاد أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة، فالخصاص: الفرج بين الأثافي... ومن الباب: خصصت فلانا بشيء خَصوصية، بفتح الخاء، وهو القياس لأنه إذا أفرد واحد، فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره»(١).

ومعناها: أنها هي الصفة التي تميز الشيء وتحدّده(٢).

والخصوصية تدل على التفضيل والتمييز والتفرّد بالشيء مما لا يُشارك فيه غير المخصوص(٣)، يقال: «اختصه: أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد»(٤).

ويتبين مما سبق أن الخصيصة تقتضي الانفراد، والتميز، والفضل(٥).

فخصائص أزواج النبي ﷺ مما انفردن به من فضائل ومزايا، سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة عن سائر النساء، والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢].

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٢/ ١٥٢.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٢٣٨.
(٣) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد ١/ ١٠٥، وأساس البلاغة، للزمخشري ١/ ٢٥٠، ولسان العرب، لابن منظور ٧/ ٢٤، ومختار الصحاح، للرازي، ص: ٩١، وتاج العروس، للزبيدي ١٧/ ٥٥١.
(٤) لسان العرب، لابن منظور ٧/ ٢٤.
(٥) ينظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للقاضي عياض، ص٢٣.

المسألة الثانية: أزواج النبي ﷺ وعددهن.

اختلف في عدة أزواج النبي ﷺ ، وذكر أهل السير والتاريخ أن النبي ﷺ عقد على خمس عشرة امرأة، دخل منهن على ثلاث عشرة امرأة، وطلّق اثنتين قبل الدخول، ونال شرف عصمته منهن إحدى عشرة امرأة، وهذا هو المتفق عليه، وهن ست من قريش، وأربع عربيات، وواحدة من بني إسرائيل، وهن اللاء ثبت لهن الخصائص التي عليها مدار هذا البحث.

ومات منهن في حياته ﷺ خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة الهلالية، ومات صلوات الله وسلامه عليه عن تسع[1].

وترتيب أزواجه ﷺ اللاء ثبت لهن الخصائص بالإجماع ما يلي:

١- خديجة بنت خويلد، أول أزواجه تزوجها قبل البعثة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت رضي الله عنها.

٢- ثم تزوج بسودة بنت زمعة القرشية العامرية.

٣- ثم تزوج عائشة عقد عليها ولم يبن بها إلا في شوال من السنة الثانية من الهجرة، ولم يتزوج بكراً سواها.

٤- ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

٥- ثم تزوج زينب بنت خزيمة الهلالية، وتوفيت عنده.

٦- ثم تزوج أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية.

٧- ثم تزوج زينب بنت جحش.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٢٠١/٨، ودلائل النبوة، للبيهقي ٧/ ٢٨٩، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني ٤٩٠/١.

٨- ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية.

٩- ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان الأموية.

١٠- ثم تزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية.

١١- ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوجها عام عمرة القضاء[١].

(١) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٤٦٢/٣، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ١٠٥/١، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير ص٢٤٣.

المبحث الأول

خصائص أزواج النبي ﷺ العامة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اختصاصهن بالنبي ﷺ.

من أعظم فضائل أزواج النبي ﷺ اختصاصهن بالنبي ﷺ اختصاصا ليس لأحد من البشر؛ لما يقتضيه عقد الزوجة من إفضاء الزوج إلى زوجته في خاصة نفسه؛ ولذلك اطلعن ﷺ على أحوال النبي ﷺ في بيته وخاصة نفسه ما لم يطلع عليه أحد سواهن، ونقلن عنه ﷺ أشياء لم ينقله عنه غيرهن، ولذلك أضافهن الله تعالى إلى نبيه ﷺ تشريفا وتكريما في خطابه لهن بقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾]الأحزاب:٣٠[، «وناداهن بوصف نساء النبي ﷺ، ليعلمن أن ما سيلقى إليهن خبر يناسب علو أقدارهن»[(١)]، وهو «استدعاء لهن بتلك الصفة الرفيعة التي حلاهن الله ﷻ بها في بيت النبوة، وتذكير لهن بتلك النعمة العظيمة التي لبسنها بإضافتهن إلى النبي ﷺ»[(٢)]؛ لشرف انتسابهن للنبي ﷺ بالزوجية، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾]الأحزاب:٢٨[.

ومما يزيد هذا المعنى بيانا قول الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ٣١٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١/ ٧٠٥.

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾]الأحزاب:٣٢[، وهذا يدل على تفضيلهن على سائر النساء، كما قال ابن عباس: «يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليَّ، وثوابكن أعظم لديَّ»(١).

وبين قتادة بن دعامة السدوسي معنى تفضيلهن على سائر النساء بقوله: «كأحد من نساء هذه الأمة»(٢)، وتفضيل الله تعالى لهن «لما منحهن من صحبة الرسول ﷺ، وعظيم المحلّ منه، ونزول القرآن في لُحُفهنّ»(٣).

ونفي مشابهتهن لأحد من النساء «مُكنى به عن الأفضلية على غيرهن... فالمعنى: أنتن أفضل النساء، وظاهره تفضيل لجملتهن على نساء هذه الأمة، وسبب ذلك أنهن اتصلن بالنبي ﷺ اتصالا أقرب من كل اتصال، وصرن أنيساته ملازمات شؤونه، فيختصصن باطلاع ما لم يطلع عليه غيرهن من أحواله وخلقه في المنشط والمكره، ويتخلقن بخلقه أكثر مما يقتبس منه غيرهن؛ ولأن إقباله عليهن إقبال خاص»(٤)، وهذه خصّيصة أكرم الله تعالى بها أزواج النبي ﷺ.

(١) تفسير البغوي ٦/ ٣٤٨.
(٢) تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٧.
(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ٣٨٢.
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٧.

المطلب الثاني: إذهاب الله تعالى الرجس عنهن وتطهيرهن.

جاء في سورة الأحزاب عدة توجيهات من الله تعالى لأزواج النبي ﷺ، كالنهي عن الخضوع بالقول للرجال غير المحارم، وكالأمر بالقرار في البيوت، والنهى عن تبرج الجاهلية، عقّب ذلك بتعليل تلك التوجيهات بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾]الأحزاب:٣٣[، قال ابن كثير: « وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية »[(١)].

وفي هذه الآية ما يدل على إذهاب الرجس[(٢)] عنهن، وتطهيرهن، والمعنى: «إنما يريد الله بذلك ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت الرسول، ويطهركم من دنس الفسق والفجور الذي يعلق بأرباب الذنوب والمعاصي»[(٣)].

ولهذا حفظ الله تعالى أزواج نبيه ﷺ مما لا يلاقي مقامهن من النبي ﷺ ومكانتهن العظيمة التي من أجلها اختارهن الله تعالى سكنا وفراشا لرسوله ﷺ، على القاعدة العظيمة التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾]النور:٢٦[فلم يكن الله تعالى ليختار زوجات لأطيب خلقه ﷺ إلا أطيب النساء وأكرمهن، كيف وجاء ذلك نصا صريحا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾]الأحزاب:٣٣[، ولذلك نزع العلامة الطاهر بن عاشور إلى معنى عصمتهن من الكبائر فقال: «والآية تقتضي أن الله عصم أزواج نبيه ﷺ من ارتكاب

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤١٠.

(٢) الرجس من رَجَس، أصل يدل على اختلاط، ومن معنى الرجس: القذر، لأنه لطخ وخلط، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح، وهو على هذا المعنى اسم لكل ما استقذر من عمل، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾]الحج:٣٠[، ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٠، ولسان العرب ٦/ ٩٥، وتهذيب اللغة ١٠/ ٣٠٦، والكليات، ص: ٤٦٥، واستعير معنى الرجس هنا للذنوب والآثام والنقائص الدينية، لأنها تجعل عرض الإنسان في الدنيا والآخرة مرذولا مكروها، كالجسم الملوث بالقذر، بتصرف من التحرير والتنوير ٢٢/ ١٤، وينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٣٨٤.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري ٢٣/ ١٦.

الكبائر، وزكّى نفوسهن»[1]؛ ومن أجل ذلك فمن قذف واحدة من أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ في عرضها فهو كافر حلال الدم[2]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾]النور:٢٣[، قال ابن عباس: «هذا في شأن عائشة وأزواج النبيّ ﷺ»[3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يجوز أن تقع فاحشة من أزواج النبي ﷺ[4]، وعلّل ذلك بقوله: «لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده»[5]، وهذا معنى عصمتهن من الفواحش.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١٥.
(٢) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية ص: ٥٦٧.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٣٩.
(٤) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، ص: ٤٩.
(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، ص: ٥٦٧.

المطلب الثالث: مضاعفة العذاب والثواب.

مقام أزواج النبي ﷺ ليس كمقام غيرهن من النساء؛ لعظيم شرفهن بانتسابهن إلى النبي ﷺ، ومن ذلك أنه جاء من خصائصهن على تقدير وقوع فاحشة مبيّنة من إحداهن، لضوعف لها العذاب ضعفين؛ وذلك لأن «أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر اللّه تعالى ونواهيه»[1]، «فلما كانت محلتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلّظا، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع»[2].

وتضعيف العقوبة على المعصية بحقهن، لعظيم شرفهن، وذلك كتضعيف عقوبة المرأة الحرة على الأمة المملوكة.

وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه دلالة على أنهن أشرف نساء العالمين[3].

ولذلك قال اللّه تعالى بيانا لهذا الشأن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾]الأحزاب:٣٠-٣١[، «ناداهن بوصف «نساء النبي» ليعلمن أن ما سيلقى إليهن خبر يناسب علو أقدارهن»[4].

قال ابن جرير الطبري في معنى هاته الآية: «من يزن منكنّ الزنا المعروف الذي أوجب اللّه عليه الحدّ»[5]، وذلك بناء على أن معنى الفاحشة في الآية هي الزنا.

وعلى المعنى الأخر للفاحشة عند بعض المفسرين وهي عموم المعصية، ويدخل في ذلك نشوز المرأة على زوجها، وفساد عشرته.

---

(١) تفسير ابن عطية ٤/ ٣٨٢.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٨.
(٣) بتصرف من تفسير البغوي ٦/ ٣٤٨.
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١٨/٢١.
(٥) تفسير الطبري ٢٥٥/٢٠.

لأنه إذا ورد في القرآن الكريم لفظ الفاحشة مُنكّرة فهي مطلق المعاصي، وإذا وردت مُعرّفة فهي الزنا[١].

قال أبو حيان: «ولا يتوهم أنها الزنا؛ لعصمة رسول الله ﷺ من ذلك؛ ولأنه وصفها بالتبيين، والزنا مما يتستر به، وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته، ولما كان مكانهن مهبط الوحي من الأوامر والنواهي، لزمهن بسبب ذلك، وكونهن تحت الرسول ﷺ أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب»[٢]، «وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع، أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات، يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات»[٣].

وهذا بيان لفضلهن على تقدير الشرط، والشرط لا يقتضي الوقوع[٤]، على حدّ قول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾]الزمر:٦٥[، فقد حماهن الله تعالى من تلك الكبائر، وأذهب عنهن الرجس وطهرهن تطهيرا، ولكن بيان أن العذاب يضاعف لهن ضعفين في حال وقعت منهن فاحشة مبينة، بيان لمزيتهن، وخصّيصة من خصائصهن، «أريد تحذيرهن من المعاصي بلوغا بهن إلى مرتبة الملكية مبالغة في التحذير، إذ جعل عذاب المعصية على فرض أن تأتيها إحداهن عذابا مضاعفا»[٥].

ومعنى مضاعفة العذاب: أن يكون عذابين، قال ابن جرير الطبري: «أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبي ﷺ بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة، مثليّ عذاب سائر النساء غيرهنّ»[٦]، أي: يضاف إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله، وهو ضعف عذاب أمثال تلك المعصية إذا صدرت من غيرهن، وهو ضعف في القوة، وفي

(١) ينظر: تفسير ابن عطية ٣٨١/٤.
(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ٤٧٣/٨.
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري ٤٨٨/٢٢.
(٤) تفسير ابن كثير ٤٠٨/٦.
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ٣١٨.
(٦) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٥٥.

المدة، والمراد عذاب الآخرة[1].

وكذلك في الطاعات والحسنات يضاعف لهن مرتين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾]الأحزاب: ٣١[، قال ابن جرير الطبري: «يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، يقول: وأعتدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة»[2].

وفي إضافة الأجر إلى ضمير زوج النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَجْرَهَا﴾ إشارة إلى تعظيم ذلك الأجر بأنه يناسب مقامها، وإلى تشريفها بأنها مستحقة ذلك الأجر.

ومضاعفة الأجر لأزواج النبي ﷺ على الطاعات كرامة لقدرهن، وهذه المضاعفة في العذاب والثواب من خصائص أزواج النبي ﷺ لعظم قدرهن؛ لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة فضل الآتي بها، ودرجة أزواج النبي ﷺ عظيمة[3].

ومعنى مضاعفة الثواب: «أنه إذا أثيب نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها، أثبن هن على الحسنة بعشرين مَثَلًا لها، وإن زيد للنساء على العشر شيء زيد لهن ضعفه، وكأنه والله تعالى أعلم إنما قيل: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ دون «يضاعف لها الأجر» كما قيل في المقابل: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، لأن أصل تضعيف الأجر ليس من خواصهن، بل كل من عمل صالحا من النساء والرجال من هذه الأمة يضاعف أجره، فأخرج الكلام مغايرا لما تقتضيه المقابلة رمزا إلى أن تضعيف الأجر على طرز مغاير لطرز تضعيف العذاب، مع تضمن الكلام المذكور الإشارة إلى مزيد تكريمهن ووفور الاعتناء بهن، فإن الإحسان المكرر أحلى»[4].

ويلحظ في تضعيف العقاب والثواب لهن ﷺ أنه عند إيتاء الأجر، ذكر المؤتي

(١) بتصرف من تفسير ابن عطية ٤/ ٣٨٢، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ٣٢٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٥٦.
(٣) بتصرف من التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٥.
(٤) تفسير الألوسي ١١/ ١٨٤.

وهو الله تعالى، فقال: ﴿نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾، وعند العذاب لم يصرح بذلك، فقال: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، وهذا إشارة إلى كمال الرحمة والكرم(١).

وفي الحكمة -والله تعالى أعلم- في تخصيص نساء النبي ﷺ بتضعيف العقوبة على الذنب، والمثوبة على الطاعة وجهان:

الأول: لأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهن، ولأن في معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ، وذنب من آذى رسول الله ﷺ أعظم من ذنب غيره.

الثاني: لأنهن أشرف من سائر النساء؛ لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت الطاعة منهن أشرف، كما أن المعصية منهن أشد من غيرهن(٢).

وذلك بسبب أن «من كمُلتْ عليه نعمة الله، واختصه منها بما لم يختص به غيره في إعطائه منها ما حرمه غيره، فحُبي بالإنعام، وخُص بالإكرام، وخُص بمزيد التقريب، وجعل في منزلة الولي الحبيب، اقتضت حاله من حفظ مرتبة الولاية والقرب والاختصاص بأن يراعي مرتبته من أدنى مشوش وقاطع، فلشدة الاعتناء به، ومزيد تقريبه، واتخاذه لنفسه، واصطفائه على غيره، تكون حقوق وليّه وسيّده عليه أتمّ، ونعمه عليه أكمل، والمطلوب منه فوق المطلوب من غيره»(٣).

(١) بتصرف من اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ١٥/٥٤٠.
(٢) بتصرف من فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا الأنصاري، ص: ٣١٦.
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ١/٣٤٢.

المطلب الرابع: ذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة.

لما ضمن الله تعالى لأزواج النبي ﷺ الكرامة والعظمة وتخصيصهن بشرف ليس لأحد من النساء، أمرهن بالتحلّي بأسباب ذلك الشرف، والتزود من علم الشريعة بدراسة القرآن والسنة، ليجمع ذلك اهتداءهن في أنفسهن وازديادا في الكمال والعلم(١).

قال الله تعالى خطابا لأزواج النبي ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤]، والمراد «اذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها»(٢).

والذكر في هذه الآية الكريمة له احتمالان صحيحان لا يتعارضان:

الأول: الذُّكر -بضم الذال- من التذكّر، وله معنى صريح ومعنى كنائي:

فأما المعنى الصريح فهو ألا ينسين ما جاء في القرآن مما يتلوه عليهم النبي ﷺ في بيوتهن، وهن أحق الأمة بذلك.

وأما المعنى الكنائي، وهو مراعاة العمل بما يتلى في بيوتهن من الوحي، وكذلك تذكّر تلك النعمة العظيمة أن كانت بيوتهن مواضع لتنزّل الوحي وتلاوة رسول الله ﷺ، فهن أحق الناس بذكر هذا الفضل العظيم.

الثاني: الذِّكر -بكسر الدال- وهو إجراء الكلام على اللسان، والمراد هو بلاغ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١٨.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٤١٥.

القرآن وتذكير الناس به[1].

وآيات الله تعالى القرآن الكريم، والحكمة ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة[2].

(١) ينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٣٨٤، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١٨.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٢٦٧.

المبحث الثاني

خصائص أزواج النبي ﷺ مع النبي ﷺ،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تخييرهن في البقاء على عصمة النبي ﷺ.

لما فتح الله تعالى على النبي ﷺ والصحابة أرض قريظة بعد غزوة الأحزاب وغنموا أموالهم، وكانت أرض بني النضير قبيل ذلك فيئا للنبي ﷺ، حَسب أزواج رسول الله ﷺ أنه مثل أحد من الرجال إذا وسّع عليهم الرزق توسعوا فيه هم وعيالهم، فلم يكن أزواج النبي ﷺ يسألنه توسعة قبل أن يفيء الله تعالى عليه من بني النضير، وقبل أن يكون له الخمس من الغنائم، فلما رأين النبي ﷺ جعل لنفسه ولأزواجه أقواتهم من مال الله تعالى، ورأين وفرة ما أفاء الله عليه من المال، حسبن أنه يوسع في الإنفاق، فصار بعضهن يستكثرنه من النفقة، كما دل عليه قول عمر رضي الله عنه لحفصة ابنته أم المؤمنين: «لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء، وسليني ما بدا لك»[1].

وأرض قريظة قسمت على المهاجرين بحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فلعل المهاجرين لما اتسعت أرزاقهم على أزواجهم أمّل أزواج النبي ﷺ أن يكن كالمهاجرين، فسألنه من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فهجرهن رسول الله ﷺ وآلى أن لا يقربهن شهرا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، رقم الحديث (٥١٩١).

واللّه تعالى أقام رسوله ﷺ مقاما عظيما فلا يتعلق قلبه بمتاع الدنيا، إلا بما يقتضيه قوام الحياة من ضرورات العيش، وإذ قد كان شأن هذه السيرة أن يشق على غالب الناس وخاصة النساء، أراد اللّه تعالى أن يسهل الأمر على رسوله ﷺ، وأن يرفع درجة زوجاته، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر اللّه تعالى رسوله ﷺ أن يخيّر أزواجه بين السير على تلك السيرة تبعا لحاله، والصبر على شظف العيش وشدته وضيق الحال، والرضا بما قسم لهن، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي قسم لهن[1].

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾]الأحزاب:٢٨، ٢٩[.

وهذا المعنى يؤذن به سياق هذه الآيات عقب ذكر وقعة قريظة والأحزاب، ولذا فافتتاح هذه الأحكام بنداء النبي ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾]الأحزاب:٢٨[، تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به ﷺ، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة.

والأزواج المعنيات في هذه الآية هن أزواجه التسع اللاتي توفي النبي ﷺ عنهن، وهن:

عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أمية المخزومية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وميمونة بنت الحارث الهلالية من بني عامر بن صعصعة، وسودة بنت زمعة العامرية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي النضرية رضي اللّه عنهن أجمعين[2].

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٥١/٢٠، وتفسير ابن كثير ٤٠١/٦، وتفسير البغوي ٣٤٥/٦، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١٤/٢١، وتفسير السعدي، ص: ٦٦٢.
(٢) بتصرف من التحرير والتنوير ٢١/ ٣١٤.

ومعنى الآية: «يا أيها النبي الكريم والرسول العظيم، قل لأزواجك: اخترن لأنفسكن إحدى خصلتين:

أولاهما: إن تكن ممن يحببن لذات الدنيا ونعيمها، والتمتع بزخرفها، فليس لكن عندي مقام؛ إذ ليس عندي شيء منها، فأقبلن عليَّ أعطكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق، تطييبا لخاطرهن، وتعويضا عما لحقهن من ضرر بالطلاق، وهي كسوة تختلف بحسب الغنى والفقر، واليسار والإقتار، كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾]البقرة:٢٣٦[، ثم أسرحكن وأطلقكن على ما أذن الله به وأدب عباده بقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾]الطلاق:١[، وحين نزلت هذه الآية، عرض عليهن رسول الله ﷺ ذلك، وبدأ بعائشة، وكانت أحب أهله إليه فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ففرح رسول الله ﷺ، ثم تابعها بقية نسائه.

ثم ذكر ثانية الخصلتين، فقال: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ، أي: إن كنتن تردن طاعة الله وطاعة رسوله، أو المعنى: إن كنتن تردن رسوله وصحبته ورضاه، وذكر الله للإيذان بكرامته ﷺ عنده تعالى، ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، أي: نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ ﷻ ﴿أَعَدَّ﴾ وهيأ في الآخرة ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾، أي: لمن عمل الصالحات منكن بمقابلة إحسانهن، و«من» للتبيين؛ لأن كلهن محسنات أصلح نساء العالمين، ولم يقل: «لكن» إعلاما بأن كل الإحسان في إيثار مرضاة الله ورسوله على مرضاه أنفسهن»[1].

وذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي شيئا من فوائد هذا التخيير، ومختصره ما يأتي:

١- الاعتناء برسوله ﷺ، وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري ٢٢/ ٤٨٦.

٢- سلامته ﷺ، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع.

٣- تنزيهه عما لو كان فيهن مَن تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

٤- سلامة زوجاته ﷺ عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله، فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول ﷺ، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

٥- إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

٦- استعدادهن بهذا الاختيار للأمر الخيار، للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زوجاته في الدنيا والآخرة.

٧- ظهور المناسبة بينه ﷺ وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات.

٨- أن هذا التخيير داع وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.

٩- أن يكون اختيارهن هذا سببا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء[1].

ومن أثر ذلك أن أزواج النبي ﷺ لما اخترن البقاء مع النبي ﷺ بعد التخيير استحققن الفضل العظيم الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١]،

(١) بتصرف من تفسير السعدي، ص: ٦٦٣.

وهذا الرزق الكريم قال فيه ابن كثير: «أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش»[1].

ومنزلة الوسيلة من الجنة جاء بيانها في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[2].

وجاء في مسند الإمام أحمد بيان لهذه المنزلة العظيمة في الجنة، فعن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: (الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة)[3].

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم الحديث (٣٨٤).

(٣) مسند الإمام أحمد ١٨/ ٣٠٦، وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٣٦/٧: وهذا إسناد رجاله ثقات.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالعدل بينهن في القسم.

من خصائص أزواج النبي ﷺ اللاتي انفردن بها عدم وجوب القسم لهن، استدلالا بقول الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾]الأحزاب:٥١[، والإرجاء في هذه الآية بمعنى: التأخير(١)، وذكر ابن جرير الطبري أن النبي ﷺ كان مخيرا في القسم بين زوجاته بمقتضى هذه الآية(٢)، وقال ابن كثير: «لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت»(٣).

«وهذا أيضا من توسعة الله على رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان ﷺ يجتهد في القسم بينهن في كل شيء»(٤).

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، أي: ومن أراد النبي ﷺ أن يؤوي إليه امرأة من أزواجه ممن عزلهن عن القسم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لا إثم عليك، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها، ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها(٥).

والحكمة من هذه الخصيصة كما قال الله تعالى:﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾]الأحزاب:٥١[، وهذا مما يظهر به شرفهن ومنزلتهن من الله تعالى إذ روعيت مشاعرهن الوجدانية في أخص العلاقة الزوجية، تطييبا لقلوبهن واستجلابا لرضاهن، ودفعا لما عسى أن ينشأ من دوافع غيرة الزوجات، «لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرّت أعينهن بذلك ورضين، لأن المرء

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩١.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٢٩٤.
(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٤٦.
(٤) تفسير السعدي، ص: ٦٦٩.
(٥) تفسير البغوي ٦/ ٣٦٦.

إذا علم أنه لا حق له في شي كان راضيا بما أوتي منه وإن قلّ، وإن علم أن له حقا لم يقنعه ما أوتي منه، واشتدّت غيرته عليه وعظم حرصه فيه، فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه»[1].

ولكن النبي ﷺ قسم لهن وأرضاهن بكمال العدل بينهن، ولم ينقل عن النبي ﷺ غير ذلك.

(١) تفسير القرطبي ١٩٢/١٧.

المطلب الثالث: تزويج الله تعالى لبعضهن للنبي ﷺ.

تختص زينب بنت جحش ﵂ من بين أزواج النبي ﷺ أن الله تعالى تولّى تزويجها بعد طلاقها من زيد بن حارثة ﵁، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وذلك وقع من الله تعالى خبرا للنبي ﷺ، أنه تعالى زوّجه منها مباشرة، فدخل عليها النبي ﷺ بغير عقد ولا مهر ولا وليّ ولا شهود، قال ابن كثير: «الوطر: هو الحاجة والأرب، أي: لما فرغ منها، وفارقها، زوجناكها، وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله ﷻ بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر»[(١)].

وعن أنس ﵁ قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: (فاذكرها علي)، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب: أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن[(٢)].

ودخول الرسول ﷺ عليها بلا أذن، لأنها زوجته، والله تعالى أعلمه بذلك، وهذا يدل على حسن فهم النبي ﷺ وائتماره بأمر الله تعالى حين قال له: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾[(٣)].

ولذلك كانت زيب بنت جحش ﵂ تعدُّ تلك خصّيصة لها، فتقول لأزواج النبي ﷺ: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم الحديث (١٤٢٨).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤/ ٥٩٨، والإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٩) شرح النووي على مسلم ٩/ ٢٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الاماء، رقم الحديث (٧٤٢٠).

وهذا يقتضي خصوصية للنبي ﷺ في اشتراط الولي في النكاح، ولم يذكر في الروايات أن النبي ﷺ أصدقها، فعدّه بعض أهل السير من خصوصياته ﷺ، فيكون في تزوجها خصوصيتان نبويتان، عدم الولي، وعدم المهر، وهذه الخصيصة لم تقع لغير زينب بنت جحش من النساء السابقات واللاحقات[1].

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٩.

المطلب الرابع: تحريم النساء على النبي ﷺ سواهن.

بعد أن خيّر النبي ﷺ أزواجه إما أن يخترن الحياة الدنيا وزينتها، وبين أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واخترن كلُّهن البقاء في عصمة النبي ﷺ كما تقدم، كافأهن الله تعالى بأن حرّم النساء بعدهن على النبي ﷺ، وكذلك حرّم عليه طلاق إحداهن واستبدالها بغيرها، فقال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾]الأحزاب:٥٢[، أخرج البيهقي عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما خيرهن الله اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فقصره عليهن، فأنزل الله عليه ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾[1].

قال البغوي: «يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله، شكر الله لهن، وحرّم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس وقتادة»[2].

وهذه الآية تتضمن حكمين للنبي ﷺ تجاه زوجاته اللاتي خيّرهن فاخترنه:

الأول: ألا يتزوج النبي ﷺ غيرهن، كما قال الله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾.

الثاني: لا أن يستبدل بهن غيرهن بأن يطلق واحدة منهن ويتزوج غيرها، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾[3].

وذلك أن مراحل التشريع للحياة الزوجية للنبي ﷺ مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الحلّ المطلق في الزواج من أية امرأة مؤمنة.

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي ٧/ ٨٦.
(٢) تفسير البغوي ٦/ ٣٦٦، وانظر تفسير الطبري ٢٠/ ٣٠١.
(٣) بتصرف من تفسير المراغي ٢٢/ ٢٦.

المرحلة الثانية: وفيها يتقرر ما يأتي:

أولا: الوقوف بالعدد من الزوجات عند الحد الذي كان موجودا عند نزول الآية، وهو تسع نساء.

ثانيا: إن أراد النبي ﷺ أن يتزوج على مَن عنده من النساء، فلا يجوز له أن يتزوج من غير من حدّدهن الله تعالى من أصناف النساء اللاء ذكرن في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾]الأحزاب:٥٠[.

المرحلة الثالثة: استقرار الأحكام للحياة الزوجية في بيت النبوة، فلا يتزوج النبي ﷺ غيرهن من النساء، ولا يطلق واحدة منهن فيستبدل بها غيرها[1].

وهذا كله تطييب «لخواطر نساء النبي ﷺ، وتطمين لقلوبهن، ألا يدخل عليهن من النساء من يشاركهن الحياة مع النبي ﷺ، والسكن إليه في بيت النبوة، وأنهن في أمان من أن يخرجن من هذا الجناب الكريم، أو يفارقن النبي ﷺ بالطلاق»[2].

وفي هذا من خصائص أزواج النبي ﷺ ما ليس لأحد غيرهن.

(١) بتصرف من التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١/ ٧٤٣.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ١١/ ٧٤٢.

المبحث الثالث

خصائص أزواج النبي ﷺ مع الأمة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حرمة بيوت النبي ﷺ.

قال الله تعالى في بيان هذا المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾]الأحزاب:٥٣[.

من خصائص أزواج النبي ﷺ أن الله تعالى جعل لبيوتهن حرمة وآدابا تُراعى، صيانة لتلك البيوت عما لا يليق بمقام أصحابها، وجاءت هذه الآية بعد أن بين الله تعالى في الآيات قبلها حقوق النبي ﷺ مع أزواجه، ثم بين بعد ذلك آداب الأمة معهن(١)

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾]الأحزاب:٥٣[، فأضاف البيوت في هذه الآية إلى النبي ﷺ على الأصل، كما جاءت الإضافة للبيوت لأزواج النبي ﷺ في آية أخرى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾]الأحزاب:٣٣[؛ «لأنهن ساكنات بها أسكنهن رسول الله ﷺ، فكانت بيوت النبي ﷺ يميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى ساكنة البيت، يقولون: حجرة عائشة، وبيت حفصة»(٢).

وفي هذه الآية «حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن،

(١) ينظر: تفسير الألوسي ١١/ ٢٤٣، والتحرير والتنوير ٢٢/ ٨١.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١١.

كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة»[١].

وهذه الآية تضمنت الأدب في أمر الدخول في بيوت النبي ﷺ للطعام والجلوس[٢].

وجمهور المفسرين على أن سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش ﵂ صنع لها وليمة العرس، فدعا الناس لها، وكان من أمر ذلك ما جاء عن أنس بن مالك ﵁، قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾[٣].

وفي رواية في صحيح مسلم ورسول الله ﷺ جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ[٤].

ثم بين الله تعالى آداب دخول بيوت النبي ﷺ بنهي الله تعالى عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا لطعام دعاهم إليه؛ لأن النبي ﷺ له مجلس يجلسه في المسجد، فمن كان له أمر يأتيه هنالك.

ويلحق بذلك كل دعوة تكون من النبي ﷺ، وكل إذن منه بالدخول إلى بيته، فقال

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٥٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية ٤/ ٣٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾، رقم الحديث (٤٧٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم الحديث (١٤٢٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، رقم الحديث (١٤٢٨).

تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾، وضمن ﴿يُؤْذَنَ﴾ معنى: تدعون، فعدي بـ«إلى» فكأنه قيل: إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم(١).

﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾، أي: «غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه»(٢).

والمعنى: «لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا يكرهه الله ويذمه»(٣).

والآية على ما ذهب إليه جمهور المفسرين خطاب لقوم كانوا يتحيّنون طعام النبي ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، مخصوصة بهم وبأمثالهم ممن يفعل مثل فعلهم في المستقبل، فالنهي مخصوص بمن دخل بغير دعوة وجلس منتظرا الطعام من غير حاجة، فلا تفيد النهي عن الدخول بإذنٍ لغير طعام، ولا عن الجلوس واللبث بعد الطعام لمهم آخر(٤).

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾، أكد منع الدخول دون إذن، وحصر وقت الدخول بأن يكون عند الإذن على جهة الأدب، وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة(٥).

والمعنى: إذا دعيتم فأذن لكم فادخلوا، فلا بد من الدعوة، والإذن بالدخول، وإلا فالدعوة نفسها لا تكون إذنا كافيا في الدخول(٦).

وجاء الاستدراك هنا بـ«لكن» «لرفع توهم أن التأخر عن إبّان الطعام أفضل، فأرشد الناس إلى أن تأخر الحضور عن إبّان الطعام لا ينبغي، بل التأخر ليس من الأدب، لأنه يجعل صاحب الطعام في انتظار، وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام فإنه

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٨١.
(٢) تفسير البغوي ٦/ ٣٧٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٥٤.
(٤) ينظر: تفسير الألوسي ١١/ ٢٤٦.
(٥) ينظر: تفسير القرطبي ٢٠٦/١٧.
(٦) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٦١٥.

تجاوز لحد الدعوة»[1].

ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾، أي: «فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل، وانتشروا في الأرض»[2].

والاستئناس للحديث «تسمّعه والعناية به بالإصغاء إليه»[3]، كما وقع لأولئك الثلاثة من الصحابة الذين استأنسوا للحديث ونسوا أنفسهم، حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ، كما تقدم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعلة ذلك أذية النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ الْحَقِّ﴾، «وكذلك يؤذي أزواجه، ولكن لما كان البيت بيت النبي ﷺ والحق حق النبي ﷺ أضافه إليه»[4].

وهذا فيه النهي عن الإثقال على النبي ﷺ وأهل بيوتاته من أزواجه، وإدخال القلق والغم عليهم من جراء الانبساط والاستئناس فيما هو محلّ الخلوة بالأهل، لأنه يكون مانعا للنبي ﷺ من قضاء بعض حوائجه، مع ما فيه من تضييق المنزل عليه وعلى أهله[5].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٨٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٥٤.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٨٤.
(٤) أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٦١٣.
(٥) ينظر: تفسير الألوسي ١١/ ٢٤٦، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٨٤.

المطلب الثاني: حكم الكلام مع أزواج النبي ﷺ وسؤالهن.

لما كان أزواج النبي ﷺ لسن كأحد من النساء في الفضل والشرف، أمرهن في مخاطبة الرجال غير ذوي المحارم بآداب وتوجيهات، كما أمر غيرهن من الرجال غير ذوي المحارم بآداب وتوجيهات حين مخاطبتهن وسؤالهن متاعا.

أما ما يتعلق بأزواج النبي ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾]الأحزاب:٣٢[، الخضوع في اللغة هو التذلل والانكسار والتطامن واللين في الكلام[١]، والخضوع بالقول هنا هو «القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي يُطمع فيه»[٢]، وفي هذه الآية الكريمة نهى الله تعالى أزواج النبي ﷺ عن الخضوع بالقول.

وقد كشف الطاهر ابن عاشور النقاب عن معنى هذا التوجيه الرباني وما يتضمنه من آداب كريمة بقوله: «فرّع على تفضيلهن وترفيع قدرهن إرشادهن إلى دقائق من الأخلاق قد تقع الغفلة عن مراعاتها لخفاء الشعور بآثارها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليق بحرمتهن في نفوس بعض ممن اشتملت عليه الأمة، وفيها منافقوها.

وابتدئ من ذلك بالتحذير من هيئة الكلام، فإن الناس متفاوتون في لينه، والنساء في كلامهن رقّة طبيعية، وقد يكون لبعضهن من اللطافة ولين النفس ما إذا انضمّ إلى لينها الجبلي قربت هيئته من هيئة التدلّل لقلة اعتياد مثله إلا في تلك الحالة، فإذا بدا ذلك على بعض النساء ظن بعض من يشافهها من الرجال أنها تتحبّب إليه، فربما اجترأت نفسه على الطمع في المغازلة، فبدرت منه بادرة تكون منافية لحرمة

(١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ١/ ١٠٩، ومقاييس اللغة، لابن فارس ٢/ ١٨٩، ولسان العرب، لابن منظور ٨/٧٢.

(٢) تفسير السعدي، ص: ٦٦٤.

المرأة، بله أزواج النبي ﷺ اللاتي هن أمهات المؤمنين»[1].

ولذلك جاء التعليل في الآية ذاتها: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾، جوابا للنهي «بالفاء فنصب، أي: فيطمع فيكنّ من ﴿فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ، أي: نفاق، وقيل فجور»[2].

فطهر الله تعالى أزواج النبي ﷺ بهذا التوجيه مما عسى أن يغفل عنه بعض النساء الغافلات عن الشرّ، فدلّ على كمال عفتهن وطهارتهن حتى في هيئة الكلام مع غير ذوي المحارم، فغير ذلك من الأقوال والأفعال من باب أولى.

وأما ما يتعلق بالرجال تجاههن من غير المحارم، فقال الله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾]الأحزاب:٥٣[، والمتاع يطلق على كل ما يتمتع به من أواني المنزل، وغير ذلك مما يدخل في عموم المعنى كالسؤال عن أحوال النبي ﷺ في خاصة بيته مع أهله ونحو ذلك من مسائل الدين[3].

والحجاب: الستر المرخى على باب البيت[4].

وهذه الآية هي شارعة حكم حجاب أمهات المؤمنين[5]، قال ابن كثير: «وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب»[6].

«فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ منتقبة كانت أو غير منتقبة»[7]، وعلى «ذلك صار النظر إليهن ممنوعا بكل حال،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٨.
(٢) التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي ١٦٩/١٢.
(٣) تفسير ابن عطية ٤/ ٣٩٦.
(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٩١.
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٩٠.
(٦) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٥٥.
(٧) تفسير البغوي ٦/ ٣٧٠.

وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله»[1].

وعلة الحكم كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، ولله درّ الطاهر ابن عاشور حين بين المعنى الدقيق لهذا العلة والحكمة من هذا التوجيه الرباني بقوله: «والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن، فإن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبي ﷺ، ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أضعف أسبابها، وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن ﷺ، فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية عنهن بقطع دابرها ولو بالفرض.

وأيضا فإن للناس أوهاما وظنونا سوأى تتفاوت مراتب نفوس الناس فيها صرامة ووهنا، ونفاقا وضعفا، كما وقع في قضية الإفك المتقدمة في سورة النور، فكان شرع حجاب أمهات المؤمنين قاطعا لكل تقوّل وإرجاف بعمد أو بغير عمد.

ووراء هذه الحكم كلها حكمة أخرى سامية وهي زيادة تقرير معنى أمومتهن للمؤمنين في قلوب المؤمنين التي هي أمومة جعلية شرعية، بحيث إن ذلك المعنى الجعلي الروحي وهو كونهن أمهات يرتد وينعكس إلى باطن النفس وتنقطع عنه الصور الذاتية، وهي كونهن فلانة أو فلانة فيصبحن غير متصورات إلا بعنوان الأمومة، فلا يزال ذلك المعنى الروحي ينمي في النفوس...وبهذه الآية مع الآية التي تقدمتها من قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]، تحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين المركّب من ملازمتهن بيوتهن، وعدم ظهور شيء من ذواتهن»[2].

(١) تفسير السعدي، ص: ٦٧٠.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٩٢.

المطلب الثالث: أمومتهن للمؤمنين وحرمتهن عليهم.

مما اختص به أزواج النبي ﷺ دون سائر نساء العالمين، أنهن أمهات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾]الأحزاب:٦[، في هذه الآية عُطفت حقوق أزواج النبي ﷺ على حقوق النبي ﷺ بكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فجعل الله تعالى لهن ما للأمهات من الحق على المؤمنين من وجوه البّر والإحسان والإكرام، وهذا راجع إلى تعظيم النبي ﷺ وحرماته(١).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾: «أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع»(٢).

وأزواج النبي ﷺ كونهن أمهات المؤمنين تشبيه لهنّ بالأمهات من النسب في بعض الأحكام، وهي وجوب تعظيمهنّ وتوقيرهن واحترامهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات، ولذلك أمرهن الله تعالى بعدم الخضوع في القول، وبالحجاب، وإذا سألهن أحد من غير محارمهن فليكن من وراء حجاب، كما تقدم، ويشترط في اعتبار هذه الأمومة من هذا الوجه أن يكون النبي ﷺ بنى ودخل بالمرأة، فأما التي طلقها قبل البناء فلا تعتبر من أمهات المؤمنين، وهذا من تعظيم الله تعالى لرسوله ﷺ وإيجاب حرمته حيا وميتا(٣).

ومن أجل ذلك حرّم الله تعالى التزوّج بأحد منهن بعد وفاة النبي ﷺ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾]الأحزاب:٥٣[، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ٢٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٨٠.
(٣) ينظر: تفسير الزمخشري ٣/ ٥٢٣- ٥٥٦، وتفسير الخازن ٣/ ٤١٠، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ٢٦٩.

﴿تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ[1].

والمعنى: «وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه»[2].

وخطر ذلك وشأنه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، والمعنى: «إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم»[3]، ودلت هذه الجملة من الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ على الحظر المؤكد على تحريم أزواج رسول الله ﷺ على الناس بعد حياة النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ ، وهو تقرير لحكم أمومة أزواجه للمؤمنين السالف في قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾]الأحزاب:٦[[4].

وعلة تحريم نكاح أزواج النبي ﷺ من بعده، وكونه عند الله تعالى عظيما؛ أن الله تعالى جعل نساء النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، فاقتضى ذلك أن تزوج أحد المسلمين إحداهن له حكم تزوج المرء أمه، وذلك إثم عظيم[5].

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٥٥.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٣١٦.
(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣١٧.
(٤) بتصرف من التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٩٢.
(٥) بتصرف من التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ٩٤.

المطلب الرابع: القرار في البيوت.

أمر الله تعالى أزواج النبي ﷺ بالقرار في بيوتهن، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾]الأحزاب:٣٣[، «أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه»(١).

و«هذا أمر خصصن به وهو وجوب ملازمتهن بيوتهن توقيرا لهن، وتقوية في حرمتهن، فقرارهن في بيوتهن عبادة، وأن نزول الوحي فيها وتردد النبي ﷺ في خلالها يكسبها حرمة»(٢).

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في قراءة الجمهور عدا عاصم ونافع وأبي جعفر: (وقِرْنَ)(٣)، من الوقار، فقرارهن في بيوتهن من حفظ مقامهن من النبي ﷺ، ووقار لهن، ولذلك جاء في الحديث عن عائشة ﵂، قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: (إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكن)(٤).

وذلك «أن عمر ﵁، وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي حتى صرح بقوله للنبي ﷺ: احجب نساءك، وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٩.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١٠.
(٣) ينظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٢٥٩.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾، رقم الحديث (٤٧٩٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، رقم الحديث (٢١٧٠).

قصد بعد ذلك ألا يبدين أشخاصهن أصلا ولو كن مستترات، فبالغ في ذلك ومنع منه، وأُذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعا للمشقة ورفعا للحرج»[1].

وهذا يقتضي وجوب مكث أزواج النبي في بيوتهن وألا يخرجن إلا للضرورة التي هي من قبيل حاجات الإنسان، ومحمل هذا الأمر على ملازمة بيوتهن فيما عدا ما يضطر فيه الخروج[2].

وقد ذكر أهل العلم أنه لا يجوز لنساء النبي ﷺ ظهور أشخاصهن وإن كن مستترات، إلا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز ونحو ذلك، وإذا خرجن لضرورة حَجبن وسَترن أشخاصهن، وحجب أشخاصهن مما اختصصن به[3].

ومما يؤيد هذا المعنى أنه جاء عن نافع مولى ابن عمر في الخروج بجنائز المسلمين للصلاة عليها ودفنها «أن الرجال والنساء كانوا يخرجون بهم سواء، فلما ماتت زينب بنت جحش ﵂ أمر عمر مناديا فنادى: ألا لا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها، فقالت بنت عميس: يا أمير المؤمنين ألا أريك شيئا رأيت الحبشة تصنعه لنسائهم؟ فجعلت نعشا وغشّته ثوبا، فلما نظر إليه، قال: ما أحسن هذا، ما أستر هذا، فأمر مناديا فنادى أن اخرجوا على أمكم»[4].

وهذا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ بيان على أن أزواج النبي ﷺ لا تُرى شخوصهن حتى وهن أموات.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني ١٩/ ١٢٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٢/ ١١.
(٣) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٧/ ٥٧، والتوشيح شرح الجامع الصحيح ٧/ ٢٩٩٣.
(٤) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد ٨/ ١١١، وجاء هذا الأثر موصولا في سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢/ ٢١٢.

المطلب الخامس: تبرئة الله تعالى لعائشة ﵂ في قضية أهل الإفك.

تختص عائشة ﵂ من بين أزواج النبي ﷺ أن الله تعالى تولّى براءتها بقرآن يُتلى مما رماها به أهل الإفك، وأنزل عذرها وطُهرها وعفافها، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها الله تعالى المغفرة والرزق الكريم(١).

وذلك أنه في غزوة المريسيع لما قفل النبي ﷺ منها راجعا إلى المدينة، وكانت عائشة ﵂ معه ﷺ تحمل على بعيرها في هودجها، فنزلوا منزلا شُغلت فيه عائشة ﵂ بطلب عِقد لها من جزع ظفار فقدته حتى احتبست عنهم، فرحلوا بعيرها ومضى الجيش، وبقيت في مكانها حتى مرَّ بها صفوان بن المعطل السلمي ﵁، فرَحَلها على بعيره، وأقبل يقود بالجمل وعليه عائشة ﵂ حتى وصلوا الجيش، فرماها عبد الله بن أبيّ بن سلول بالبهتان والإفك، واتهمها بصفوان ﵁، ومكث النبي ﷺ شهرا لا يُوحى إليه في ذلك بشيء، وطار الخبر في المدينة، حتى عظم الخطب على بيت النبوة مما كان يتحدث به الناس يومئذ، حتى أنزل الله تعالى براءتها مما رماها به أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والفرية التي بسببها غار الله تعالى لها ولنبيه ﷺ، فأنزل براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ(٢).

ولم يكن في ظن عائشة ﵂ إلا أن الله تعالى سيبرئها، ولكن لم تكن تظن أنه سينزل في شأنها وحي يتلى عبر أجيال المسلمين، قالت: والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات

(١) ينظر: جلاء الأفهام، لابن القيم، ص: ٢٣٨.

(٢) ينظر الحديث بطوله في صحيح البخاري كتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم الحديث (٤١٤١)، وصحيح مسلم كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم الحديث (٢٧٧٠)، وينظر: تفسير ابن كثير ١٩/٦.

من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: (يا عائشة، أما الله فقد برأك)[1].

وأنزل الله تعالى الآيات من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾]النور:١١[.

قال ابن عطية: «هذه الآية وما بعدها إلى ست عشرة آية أنزلت في عائشة أم المؤمنين ﵂ وما اتصل بذلك من أمر الإفك»[2].

وتبرئة الله تعالى لعائشة ﵂ لم يقع لامرأة غيرها، مما يدل على خصوصيتها بذلك، الذي به كمال فضلها، وعناية الله تعالى بها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم الحديث (٢٧٧٠).

(٢) تفسير ابن عطية ١٦٨/٤.

خاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث هذه أبرز النتائج:

أن أزواج النبي ﷺ لهن خصائص من ثلاثة أوجه:

الخصائص العامة:

- اختصاصهن بالنبي ﷺ إذ كن أزواجه وأخص الناس به.
- إذهاب الله تعالى الرجس عنهن وتطهيره لهن تطهيرا، لعظم شرفهن وفضلهن.
- أنه لو وقعت من إحداهن فاحشة مبينة لضوعف لها العذاب ضعفين، وكذلك من يقنت منهن لله ورسوله وتعمل صالحا يؤتها الله تعالى أجرها مرتين.
- شرف بيوتهن وفضلها، لكونها محلّا لتنزل الوحي وتلاوة القرآن.

خصائصهن مع النبي ﷺ.

- اختيارهن جميعا الله ورسوله والدار الآخرة حين خيرهن النبي ﷺ، والرضى بحكم الله تعالى في تخيير النبي ﷺ في القسمة لهن.
- أن الله تعالى زوّج النبي ﷺ على وجه الخصوص زينب بنت جحش رضي الله عنها.
- أن الله تعالى حرّم على النبي ﷺ النساء الحرائر سواهن، كما حرّم طلاقهن واستبدالهن بغيرهن.

خصائصهن مع الأمة.

- أن بيوتهن لها حرمة، ولدخولها آداب وأحكام تُراعى.
- أن الكلام معهن وسؤالهن شيئا لا بد أن يكون من وراء حجاب.
- وكذلك حديثهن مع الرجال غير المحارم يكون بالقول المعروف دون خضوع بالقول.
- أنهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتعظيم، لا في النسب.
- تحريم نكاح إحداهن بعد وفاة النبي ﷺ.
- ومن خصائصهن وجوب القرار في البيوت إلا لضرورة الحاجة.
- أن اللّه تعالى تولّى تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رماها به أهل الأفك.

المصادر

١- أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

٢- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣- الإفصاح عن معاني الصحاح، المؤلف: يحيى بن هبيرة الذهلي الشيباني، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر ١٤١٧هـ.

٤- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٦- التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

٧- تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٨- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى ١٣٦٥هـ.

٩- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١١- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٢- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٣- التوشيح شرح الجامع الصحيح، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٤- خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، المؤلف: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٥- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٦- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

١٧- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٩- دلائل النبوة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: ابن القيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ.

٢١- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ه.

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٣- سير أعلام النبلاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٤٠٥هـ.

٢٤- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، المؤلف: عياض اليحصبي، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٢٦- الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٧- الفصول في السيرة، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٢٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، المحقق: أد. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ.

٢٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: عمر بن علي بن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٣- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.

٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٥- مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

٣٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٨- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٣٩- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية، المشرفون: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة.

٤٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٢- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة.